في الأيام الخوالي

بقلم الاستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

اشتهر الكاتب انتيكوسلوفاكي كارل كابك بكتاباته اللاذعة وأسلوبه التهكمي وتحليله الدقيق في مختلف نواحي الحياة والمجتمع، فضلا عن أنه كاتب قصصي قدير. وقد ظهر له أخيرا كتاب «قصص أوتوبية» يحتوي على صور من الحياة وبعض الشخصيات التاريخية المشهورة في مختلف العصور: والقصة التالية إحدى هذه الصور.

كان يوباتر صانع السلال — وموطنه طيبة (الأغريقية) — جالسا في فناء داره يحيك سلاله، عندما أقبل عليه جاره فلاجاروس مهرولا سائحا من بعيد:

«يوباتر. دع سلالك واسمع! إن أشياء مروعة تحدث!»

فسأله يوباتر وهو يهم بالوقوف «دار من التي أصابها الحريق؟»

فأجاب فيلاجاروس «إنه شيء أسوأ من الحريق. أتعرف ما الذي حدث؟ أنهم يودون أن يقدموا جزارنا نيكوماكوس إلى المحاكمة! أن بعضهم يقول إنه متهم بالتآمر مع التسالونيين. ويصرح البعض الآخر بأنه متداخل مع حزب الساخطين. هيا أسرع اننا مجتمعون في ساحة السوق!

فسأله يوباتر في ذهول «وماذا أفعل هناك؟»

فأجاب فيلاجاروس: «هناشيء في غاية الأهمية. أن المكان زاخر بالخطباء. فمنهم من يقول أنه برئ ومنهم من يقول أنه مدان. تعال استمع إليهم.

قال يوباتر «تمهل لحظة حتى أنتهي من هذه السلة. خبرني ماهي حقيقة التهمة الموجهة إلى نيكوماكوس.

قال الجار «أنهم لا يسرفونها على وجه الدقة. فأحدهم يقول شيئا، والآخرون يقولون: أشياء؛ وأولو الشأن لا يفصحون ببنت شفة لأن التحقيق لم ينته بعد. بيد أن هناك أمورا تحدث في ساحة السوق ينبغي أن تراها؛ فبعض الناس يصيح قائلا إن نيكوماكوس برئ».

— رويدك! كيف يستطيعون القول بأنه برئ، في حين أنهم لا يعرفون تمام المعرفة التهمة الموجهة إليه؟

— أن ذلك لا يهم. لقد سمع كل منهم شيئا؛ فهو لذلك يتحدث عنه. ألسنا جميعا لنا حق التكلم؟ أعتقد أن نيكوماكوس كان يحاول خيانتنا لدى التسالونيين. فقد أخبرنا أحدهم بذلك. قال إن أحد معارفه قد اطلع على رسالة. ولكن أحد الرجال قال انها مؤامرة ضد نيكوماكوس، وأنه يعرف عن ذلك الشيء الكثير. وهم يقولون أن الحكومة ضالعة في ذلك الأمر. اسمع إلى يايوباتر؟ والسؤال هو ...

— فقاطعه صانع السلال قائلا: «تمهل لحظة. السؤال هو: هل القوانين التي شرعناها لأنفسنا قوانين عادلة أو ظالمة؟ هل تحدث أحد عن ذلك في ساحة السوق».

— «كلا. ولكن هذا ليس بيت القصيد، انما هو نيكوماكوس»

— «وهل قال أي واحد من الموجودين في ساحة السوق إن أولي الشأن الذين يحققون مع نيكوماكوس شريرون ظالمون؟»

— كلا لم ينفوهوا بكلمة واحدة من ذلك.

— إذن ما الذي قالوه؟

— ماذا! ألم أخبرك؟! انهم يتجادلون فيما إذا كان نيكوماكوس متهما أو بريئا.

— إليك اسمع التي يا فيلاجاروس. لو فرض أن زوجتك قد تشاجرت مع القصاب لأنها تدعي أنه لم يعطها وطلا كاملا من اللحم. فما الذي تفعله؟

— أساعد زوجتي.

— كلا. كلا. انك تذهب لترى إذا كانت الأوزان لدى القصاب صحيحة.

— اني اعرف ذلك بغير حاجة لأن تخبرني به أيها الرجل.

— عظيم. ثم انك ترى إذا كان الميزان سليما.

— لست أيضا في حاجة لأن تخبرني بذلك يايوباتر.

الأخلاق ونادى بمذهب القوة. فالتنازع سنة الحياة، ولا يبقى إلا القوي؛ والأخلاق نوعان. أخلاق السادة كالشجاعة والدهاء والقسوة ونحوها: وأخلاق العبيد كالتسامح والشفقة والإحسان ونحوها. والإنسان القوي لا يتقيد بالقانون ولا بالأخلاق. وكل هذا مما يرضي اليهود ومما يسيرون عليهم في حياتهم لمذاء غيرهم وهذا يتفق والسياسة التي ترسمها هذه البروتوكولات.

وهذا الإيجاز المخل في توضيح مذهب هؤلاء وفي مصلحة اليهود من ترويج مذاهبهم — يشير إلى السر ولا يوضحه كل ايضاح. ولنا عودة إلى هذه الموضوعات مستقلة عن التعليقات على هذه البروتوكول إن شاء الله.

محمد عليفة التونسي